فوقع الاسكندر من بابل وقد احاطت به البلابل وظهرت به اثار السقام حتى ثقل لسانه
بالكلام وقد كان راى في منامه انه يموت فوق ارض من حديد وتحت سماء من حديد
ثم اخذه العطش والحمى وكتهلب والظما ففرشوا له تحته درعا من حديد وظللوا فوقه
بالجحف الفولاذ لاجل ان يحصل له كبر وده والانتعاش فافاق بعد زمان من الغشي
واللهف فراى الدرع الحديد فوقه وتحته فايقن بارتحاله وان منادي الحمام نادى
بتحوله وانتقاله فكتب كتابا الى امه بصورة حاله واوصاها ان تعمل له وليمة عجيبة
الاسلوب وتنادي لا يحضر بهذه الوليمة الا من لا اصيب بخليل وحبيب محبوب فلما
مات رحمه الله تعالى وضع في تابوت من ذهب وحمل الى امه الى ثغر اسكندريه وختلس
من هذه النعم وعمر من العمر ستا وثلاثين وكانت مدة ملكه تسع سنين فقال كبير حكمائه
ليتكلم كل منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقال احدهم لقد اصبح مستأثر
الملوك اسيرا وقال اخر العجب ان القوي قد غلب والضعفاء مغترون وقال اخر قد كنت
لنا واعظا ولا واعظ اكبر من وفاتك وقال اخر رب هايب لك لا يقدر ان يذكر اسمك
سرا فهو الان لا يخافك جهرا وقال اخر يا من غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال
اخر مالك لا تحرك عضوا من اعضائك وقد كنت تزلزل الارض فلما ورد الكتاب على
امه وورد محمولا في التابوت اسرعت في عمل الوليمة وهيات الماكل الفاخرة ونادت ان
لا يحضر الوليمة الا من لم يفجع في الدنيا بمحبوب ولا خليل فلم يحضر الوليمة احد فقالت
ما بال الناس لا يحضرون الوليمة فقالوا انك انت منعتيهم من الحضور قالت كيف
ذلك قالوا لقد امرت ان لا يحضر الوليمة الا من لا فجع بخل ومحبوب وليس في الدنيا
احد الا وقد اصيب بذلك فلما سمعت بذلك خفف بعض ما بها من الحزن وقالت رحم الله
ولدي لقد عزاني في نفسه باحسن تعزية والطف تسلية وقد قدمنا الكلام على الاسكندر
في اول الكتاب وانما ذكرنا هذه النبذة هنا لان فيها عبرة لاولي الالباب فانظر ايها
الناظر فالعاقل من نظر واعتبر وتامل ما يؤول اليه الامر وفي عقباه افتكر اين من ملك الافطار
وقد اين من جمشيد وحشمه اين من امر وزجر واخرب اخرته ودنياه عمر اتاه المنون

فلم يكن له عنه محيد ولا مفر فانحط من اعالي القصور الى اسافل الحفر وعوضه عن السندس
الاخضر بالتراب والمدر ووصلت اليه الدود الى ان اضمحل واندثر ولم يبق منه عين ولا اثر
وسيرى يوم البرزخ والحشر ما قدمه في دنياه وما احتز وما احسن قول القائل شعر

اين الملوك وابناء الملوك ومن — كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك — تخشى ودونهم الحجاب والحرس

اسمعهم صدر بل اضمهم حدث بانوار بهم خرس في الرمس قد حبسوا اضحوا بمهلكة في وسط معركة
صرعى وماشي الورى من فوقهم لبطشوا كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا

لله قدر ما شهدت نفس لها سمعت — يد البلا بهم والدود يفترس
من اوجه ناظرات كان ناظرها — درونق الحسن فيه كيف ينطمس
والسن ناطقات زانها ادب — ما شانها شانها بالافق الخرس
وعاد ترب الحشا يا من لباسهم — جون الثياب وقد مازانها الورس
حتى متى ذا النهى لا ترعوي ابدا — ودمع عينيك لا يهمي وينبجس

قال الناظم رحمه الله تعالى

اذ بهته لكل شمل — شتت العلى التمامه

هذا البيت مرتبط بما قبله لانه علة له فكانه يقول من زار ذلك القبر بهتته تلك الزيارة
على ما تقدم من العبرة وانه لابد لكل شمل ملتئم من التشتت والتفرق وفي ذلك عبرة واي
عبرة فان في القبور ورؤياها عظة واعتبار عند ذوي العقول والافكار فان
امرا الى هذا القبر غايته ابدا جدير بان لا يترك سدا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في سياق
قيس بن عاصم الموعظة انه قال يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا
اخرة وان لكل حسيبا وعلى كل شيء رقيبا وان لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا
ولكل اجل كتابا وانه لابد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت فان
كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسال
الا عنه فان كان صالحا لم تستانس الا به وان كان سيئا لم تستوحش الا منه وهو عملك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)